المحاضرة الرابعة : الفرق بين التجمع والمجتمع1

هل يمكن الحديث عن مجتمعات إنسانية غير تاريخية؟

تمهيد :

إذا كان الإنسان في فلسفة أرسطو مدني بطبعه، فإن ذلك يحتم عليه العيش ضمن الجماعة، فلا يمكن أن يحقق كل حاجياته بنفسه، فتعاونه وتآزره مع بنو جنسه هو الذي يحقق له الأمن والاستقرار، إذ لا يمكن أن يعيش خارج الجماعة، إلا إذا كان وحشا أو إله، وعلى ضوء ذلك يمكن أن نميز بين نوعين من التجمعات البشرية، تجمع تفرضه الطبيعة، وهو ما يسمى بالتجمع، وتجمع تفرضه المدينة وهو ما يسمى بالمجتمع، فبماذا نميّز التجمع عن المجتمع؟

1 ـ المجتمع : Société المجتمع في اللغة يعني موضع الاجتماع، أو مكان الاجتماع، ويطلق على جماعة من الناس.[1] أما في الاصطلاح فيطلق على جماعة من الأفراد، يجمعهم غرض واحد، أو على المجتمع الإنساني الذي يتميز بصفات معينة، تجعله يختلف عن باقي المجتمعات الأخرى، لأن الإنسان على حد تعبير أرسطو ، كائن مدني بطبعه، أو كما ينظر إليه ابن خلدون على أنه بحاجة إلى أبناء جنسه لتحصيل غذائه، والدفاع عن نفسه، وهذا ما يجعلنا نقول أنه مجموعة من أفراد تقوم بينهم علاقات منظمة ومصالح ، أو خدمات متبادلة.

أو مجموعة أفراد تربطهم علاقات منظمة، وخدمات متبادلة، وتسودهم روح عامة وتقاليد مشتركة، يخضعون لها جميعا، وللمجتمع سلطان على أفراده كالأسرة والأمة.[2] فمع إسبيناس يمكن أن نلحظ أن هذه الجماعات (المجتمعات الحيوانية) تنزع عموما إلى غاية يمكن أن تكون إما الغذاء في شروط أفضل للأفراد المجتمعين ، وإما تربية الشبان وتاليا تكون الغاية الإنجاب والتكاثر، وإما ضروريات الدفاع المشترك، وأخيرا مجرد اللذة التي يمكنها أن تنشأ لدى الكائنات الحية من اجتماعها مع كائنات مشابهة ، تشعر بالحاجات عينها بالرغبات ذاتها بالانفعالات نفسها. حيث أطلق على هذه المجتمعات الثلاث تسميات ثلاث :

---

1 ـ مجمع اللغة العربية: **المعجم الفلسفي**، مرجع سابق، ص 171.

2 ـ المرجع نفسه ، الصفحة نفسها.

1 ـ مجتمعات تغذية، هي مجتمعات تحصيل الغذاء، حيث الحاجة العضوية، والبيولوجية هي التي تجمعهم.

2 ـ مجتمعات تناسل، وهي مجتمعات الإنسال والمعاشرة

3 ـ مجتمعات علائق والمعاشرة، أي مجتمعات المخالطة والصحبة، حيث يبنى على شعور الفرد بالعلائق، التي تكون بين الفرد وأبناء جلدته.[3]

إذن المجمع هو مجموعة أفراد تكون روابطها متوطدة في مؤسسات ، وفي الأغلب تكون مكفولة بوجود عقوبات إما مقوننة ، وإما منتشرة تجعل الفرد يشعر بتأثير المجتمع وإكراهه. لذلك قسم المجتمع إلى ثلاث زمر، حسب نشاط ووظيفة هذا المجتمع، داخل النسيج الاجتماعي، فقد ورد هذا التقسيم الثلاثي في موسوعة المفاهيم الأساسية كما يلي:

1 ـ مجتمع الأخبار[4]: Sociéte de L'information

2 ـ مجتمع صناعي : Sociéte industrielle

3 ـ مجتمع مدني : Sociéte civile

والمجتمع هو الجماعة البشرية (العائلة ، القبيلة ، الحاضرة ، الأمة ....) باعتبارها واقعا مميزا . يقول أوجست كونت : « إن كانت فكرة المجتمع لا تزال تجريدا ... فمرد ذلك بوجه خاص إلى النظام الفلسفي القديم لأن هذه السمة تعزى في الحقيقة إلى افرد في جنسنا على الأقل .» حيث يظهر لنا المجتمع من خلال هذا القول هو جمعية تعاقدية تنشأ بفعل إرادة فاهمة وهيئة عالمة وشركة مساهمة .

2 ـ مفهوم المجتمع في علم الاجتماع

3 ـ جميل صليبا : **المعجم الفلسفي** ، ج2 ، مرجع سابق، ص 345.

4 ـ محمد سبيلا و نوح الهرموزي: **موسوعة المفاهيم الأساسية في العلوم الإنسانية والفلسفة**، المركز العلمي العربي للأبحاث والدراسات الإنسانية، ط1، الرباط، 2017، ص 427.

يفرق عالم الاجتماع **جيرهارد لينسكي**[5] بين المجتمعات بناء على مستواها في التقنية والاتصالات والاقتصاد:

1- صيادين وجوامع
2- زراعيين بسطاء
3- زراعيين متطورين
4- صناعيين
5- متميزين (مثلاً: مجتمعات الصيد والمجتمعات البحرية). هذا التقسيم مشابه للنظام الذي طور مسبقا بواسطة عالم الأنثروبولوجيا (علم الإنسان) مورتون فرايد - منظر الصراع - وإيلمان سيرفيس - منظر التكامل- الذين أنتجوا نظام تصنيف المجتمعات في جميع الثقافات الإنسانية بناءً على تطور التفاوت الاجتماعي ودور الدولة . حيث يحتوي نظام التصنيف هذا على أربعة فئات:

- المجتمعات القبلية والتي فيها حالات محدودة من الرتبة الاجتماعية والنفوذ.
- البنى المرتبة بقيادة زعماء.
- حضارات بطريقة هرمية اجتماعية منظمة ومعقدة، وحكومات مؤسساتية.

وبالإضافة لذلك فهناك:

- الإنسانية والبشرية، والتي تقوم عليهما كل عناصر المجتمع متضمنة معتقداته.
- المجتمع الافتراضي، وهو مجتمع يقوم على هويات عبر شبكة الإنترنت وقد تطور هذا المجتمع في عصر المعلوماتية.

مع مرور الوقت تطورت بعض الثقافات فاتجهت نحو التعقيد في تنظيمها وتطورت تبعاً لذلك طرق قيادتها. وقد كان لهذا التطور الثقافي أثر كبير على أنماط المجتمع، فاستقرت القبائل التي امتهنت الصيد وجمع الغذاء حول مخازن الغذاء الموسمية لتصبح بعد ذلك قرى زراعية، ونمت

---

5 - **غيرهارد إيمانويل «جيري» لينسكي** الابن (13 أغسطس 1924 – 7 ديسمبر 2015 (عالم اجتماع أمريكيًا معروفًا بإسهاماته في علم اجتماع الدين، والتفاوت الاجتماعي، واستحداث نظرية التطور الإيكولوجي. قضى معظم حياته المهنية أستاذًا جامعيًا في جامعة كارولينا الشمالية في تشابل هيل، حيث شغل منصب رئيس قسم علم الاجتماع، 1969-1972، ورئيس دائرة العلوم الاجتماعية، 1976-1978.

هذه القرى لتصبح بلدات ومدن. وتحولت المدن لتصبح (دويلات قائمة على شعب أو مدينة City-states and nation-states) .[6]

الثقافات وأساليب الحياة لهم جميعاً تتبع أوروبا الغربية .جميعهم يتمتعون باقتصاد قوي نسبياً وحكومة مستقرة، تسمح بالحرية في الدين، ديمقراطية في الحكم لصالح الرأسمالية والتجارة الدولية، وتتأثر بشدة بالقيم المسيحية - اليهودية الذي يكون كشكل من أشكال التحالف السياسي – العسكري - أو التعاوني .[7]

كما تطورت الثقافات الإنسانية في بعض المناطق في العالم حتى أصبحت تفضل طائفة أو فئة من البشر عن غيرهم كما في الطوائف التي تشترك بمسمى حظر المساس.

3 ـ مفهوم المجتمع في الفلسفة

يرى **أرسطو** و**ابن خلدون** و **هيجل** بأنّ المجتمع البشري ناتجٌ عن طبيعةٍ أملتها الحتميّة أو الضرورة على الإنسان ، على اعتبار أنه كائنٌ اجتماعي بحاجةٍ إلى الآخرين من بني جنسه للوصول وتحقيق غاياته ومتطلّباته. يرى ابن خلدون بأنّ المجتمع الإنساني ضروري مقتبساً رأيه هذا من الحكمةِ الأرسطيّة التي تقول بأنّ الإنسان مدنيٌ بطبعه ، ولا بد له من الاجتماع ببني جنسه ، ويشير ابن خلدون إلى الحقيقة الأزليّة التي ترهن بقاء الإنسان على قيد الحياة مرهونٌ بشرطين رئيسيين ، هما : توفر طعامه وقوت يومه الذي يحتاجه جسده للاستمراريّة في الحياة والنمو. قدرته عن الدفاع عن نفسه والذي يضمن سلامة حياته من أي تهديدٍ يحيط بها. لن يتوافر هذان الشرطان إلا عن طريق الاجتماع والتجمّع ، وعلى هذا الأساس فإنه من البديهي أن يطلق على هذا التجمع بالمجتمع الإنساني ، ويقرر ابن خلدون بأنّ قدرة الفرد تقتصر على تحصيل حاجته من الغذاء ، والذي افترض في ذلك الوقت بأنه أقلّ قدراً من الحنطة التي تحتاج إلى الزرع والطحن والعجن ، وأنّ الزراعة يلزمها إلى درسٍ وحصاد ، وأنّ الطحن والعجن والخبز يلزمه آلات وعدة لن تتوفر إلا عند نجارٍ وحدّاد ، ويستحيل أن تفي قدرة الفرد الذاتيّة بكل هذه الأمور

6 -Lenski, G. **Human Societies**: An Introduction to Macrosociology, 1974, p22.

7 -John P McKay, Bennett D Hill, John Buckler, Clare Haru Crowston and Merry E Wiesner-Hanks: Western Society: A Brief History. Palgrave Macmillan, 2009, p44.

أو حتى بعضها ، ومن هنا لابد من اجتماع عددٍ من القدرات لإتمام إنجاز هذا الأمر. أما هوبز وروسّو ولوك ، فإنهم يعتبرون أنّ المجتمع هو مجموع الأفراد ، على اعتبار أنّ المجتمع هو الكلّ والأفراد هم الأجزاء من الكلّ ، وهم يعتبرون بأنّ نشأة المجتمع يعود إلى نوعٍ من الاتفاق بين الأفراد ، أو ما يطلق عليه اسم (التعاقد الاجتماعي) .

يعتقد **روسّو** بأنه قبل قيام المجتمع المدني كان الفرد يعيش في استقلالٍ تام وحريّةٍ كاملة ، حيث يفترض بأنّ الإنسان كان متوحشاً على الأغلب حتى أنه لم يكن يعرف ذويه ولا حتى أولاده ، ولا يعرف لغةً ولا فضيلةً ولا رذيلة ولا صناعة ، حيث إنه لم تكن تربطه أية علاقةٍ مع أفرادٍ من نوعه ، وكان يستطيع الحصول بيسرٍ وسهولة على وسائل تكفي حاجاته الطبيعيّة ، ولم يتعرض إلا للقليل من الأمراض فقلما كان يحتاج إلى الأدوية ، لأنّ اعتلال الصحة ناتجٌ عن الإسراف في المعيشة والميول المصطنعة التي ينتج عنها الإجهاد العقلي والجسدي. يضيف روسّو بأنّ الحريّة هي ما تميّز الإنسان أكثر من مقدرته على الفهم، وأنّ الظروف اضطرته إلى التعاون مع الآخرين من أبناء نوعه بشكلٍ مؤقت ، وكان الهدف منه اصطياد الحيوانات أو التغلّب على الزلازل والفيضانات وغيرها ، وهذا الأمر جعل الأفراد يجتمعون بشكلٍ مستمرٍ ودائم ومن هنا ظهرت اللغة وتغير سلوك الفرد وبرزت عددٌ من الآفات الاجتماعيّة كالحسد. من هنا يرى روسّو بأن هذه اللقاءات الاجتماعيّة ضرورةٌ اقتضتها الطبيعة، وهي خالية من الردع والقوانين ، لكنّ التطوّر الإنساني الذي حدث أدّى إلى نشوء مجتمعات مدنية تحكمها القوانين والضوابط لإثبات الملكيّة، فتحول على إثرها الإنسان من إنسان طبيعي، يعيش على الفطرة والغريزة، إلى إنسان مدني يعيش على السياسة وروح القوانين.

4 ـ التجمع **Agrégat** :

التجمع Agrégat ـ ويطلق على جملة عناصر متجاورة لا تؤلف وحدة معينة .

ينظر ليبنتز إلى التجمع على أنه تركيب بين أجزاء بسيطة في قوله : « إن المركب ركام أو تجمع من البسائط .»[8] أو هو مجموعة أفراد شتى، لا تؤلف وحدة، فلا تربطهم إلا علاقة مؤقتة، كوجودهم مثلا في مكان واحد.[9]

5 ـ درجات التجمع :

5 ـ 1ـ التجمع الميكانيكي : وهو التجمع الخالي من التخصص الوظيفي أو التنوع و التضامن الإرادي .

5 ـ2 ـ التجمع الإعماري : وهو التجمع الذي يشتمل على التخصص الوظيفي والخالي من التنوع والتضامن الإرادي .

5 ـ 3 ـ التجمع العضوي : وهو التجمع المشتمل على التخصص الوظيفي والتنوع والخالي من التضامن الإرادي .

5 ـ 4 ـ التجمع البشري : وهو التجمع الذي يشتمل على التخصص الوظيفي والتنوع والتضامن الإرادي . فالتجمع البشري بهذا المعنى أعلى التجمعات ، وسبب ذلك أن عناصر التجمعات الثلاثة الأخرى طبيعية . أما التجمعات البشرية فإن الهيئات والملكات التي تبعث الأفراد على العمل ليست طبيعية وإنما هي إرادية .[10]

---

8 ـ جميل صليبا : **المعجم الفلسفي**، ج1، مرجع سابق، ص 248.

9 ـ مجمع اللغة العربية، **المعجم الفلسفي**، مرجع سابق، ص 39.

10 ـ جميل صليبا : **المعجم الفلسفي**، ج1، مرجع سابق، ص 249